٣٤٦- عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ) .

==========

١-هذا الحديث يتكلم عن عمل الكافر – أعمال الخير والحسنات في الدنيا - إذا مات على كفره .

والانتفاع بها يكون إما في الآخرة وإما في الدنيا :

أولاً : في الأخرة : باطلة ولا تنفعه يوم القيامة.

كما قال تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً).

وقال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ).

وقال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ « لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) رواه مسلم .

قال النووي: معنى الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة، لكونه كافراً، وهو معنى قوله ﷺ رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، أي لم يكن مصدقاً بالبعث، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل.

ثانياً : في الدنيا : يجزى صحة في الدنيا وصحة في الرزق والولد .

لحديث الباب .

قال النووي : أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْكَافِر الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْره لَا ثَوَاب لَهُ فِي الْآخِرَة، وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَله فِي الدُّنْيَا، مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّه تَعَالَى، وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّهُ يُطْعَم فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنْ الْحَسَنَات، أَيْ: بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّه تَعَالَى مِمَّا لَا يَفْتَقِر صِحَّته إِلَى النِّيَّة، كَصِلَةِ الرَّحِم وَالصَّدَقَة وَالْعِتْق وَالضِّيَافَة وَتَسْهِيل الْخَيْرَات وَنَحْوهَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيُدَّخَر لَهُ حَسَنَاته وَثَوَاب أَعْمَاله إِلَى الْآخِرَة، وَيُجْزَى بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا، وَلَا مَانِع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْع بِهِ فَيَجِب اِعْتِقَاده.

قال الشيخ الألباني : تلك هي القاعدة في هذه المسألة: أن الكافر يجازى على عمله الصالح شرعا في الدنيا، فلا تنفعه حسناته في الآخرة، ولا يخفف عنه العذاب بسببها فضلا عن أن ينجو منه .

٢-الحديث دليل على فَضلُ الإيمانِ وأنَّه الرُّكنُ الأساسيُّ لقَبولِ أعمالِ العِبادِ.

وكما قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً).

وقال تعالى (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب).

٣-الحديث دليل على التَّحذيرُ منَ الشِّركِ وبيانُ شُؤمِ الكُفرِ، وأنَّه مِن مُحبِطاتِ الأعمالِ الصَّالحاتِ.

٤-الحديث دليل على أنَّ مَن ماتَ على الكُفرِ لا يَنفَعُه عَملٌ.

٥-بيان عدل الله مع عباده بأن يوفيهم أجورهم حتى الكفرة الفجرة.

٣٤٧ – وعن أَبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ (يقول الله – عز وجل: مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزْيَد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض خَطِيئةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً) .

==========

(**وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض**) بضم القافِ، ويقال: بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه: مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا .

١–الحديث دليل على سعة الله تعالى العظيمة ، حيث أن الحسنة بعشر أمثالها .

فاللهُ عَزَّ وجَلَّ واسِعُ الرَّحمةِ، جَزيلُ العَطاءِ، ومُعاملتُه لعِبادِه دائرةٌ بيْنَ العَدلِ والفَضلِ، ومِن لُطفِ اللهِ تَعالَى بأُمَّةِ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه ضاعَفَ لها حَسناتِها ولم يُضاعِفْ سيِّئاتِها.

٢– قوله (**مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزْيَد**) .

أي : من همّ بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات .

وقد جاء في الصحيحين: عن عبدِ اللهِ بنِ عباسِ بنِ عبد المطلب رضِيَ اللهُ عنهما، عن رَسُول الله ﷺ فيما يروي عن ربهِ، تباركَ وتعالى، قَالَ (إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

قوله (أو أزيد) كما في حديث ابن عباس : ... إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ .

وهذه الزيادة على العشر لمن شاء الله أن يضاعف له تكون حسب الإخلاص والإحسان في العمل.

كما قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

وعن ابن مسعود قال (جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله! هذه في سبيل الله، فقال: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة) رواه مسلم

وفي حديث الصيام (قال تعالى: إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به) متفق عليه.

قال النووي: التَّضْعِيف بِعَشْرَةِ أَمْثَالهَا لَا بُدّ بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَته وَوَعْده الَّذِي لَا يُخْلَف، وَالزِّيَادَة بَعْد بِكَثْرَةِ التَّضْعِيف إِلَى سَبْعمِائَةِ ضِعْف، وَإِلَى أَضْعَاف كَثِيرَة، يَخْصُل لِبَعْضِ النَّاس دُون بَعْض عَلَى حَسَب مَشِيئَته سُبْحَانه وَتَعَالَى.

وقال ابن رجب: إن مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الإسلام، ويكون بحسب كمال الإخلاص، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه، وبحسب الحاجة إليه.

وقال ابن حجر: وهذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدى النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة وشرف العمل ونحو ذلك

وقال الشيخ ابن عثيمين: (إلى سبعمائة ضعف) وهذا تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء ضاعف هذا، وإن شاء لم يضاعف.

٣–قوله (**وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**) .

وهذا من رحمة الله أن السيئة بمثلها من غير زيادة .

كما قال تعالى (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) .

وفي حديث ابن عباس السابق (وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

فهذا دليل على أن السيئات لا تضاعف مطلقاً، فقول بعض العامة: إن السيئات تضاعف في مكة كما تضاعف الحسنات، هذا الإطلاق لا يجوز، لأن السيئات لا تضاعف مطلقاً .

وقوله (أَوْ أَغْفِرُ)؛ أي: أسترها عنه فضلاً وكرماً، والمعنى: إن جازيته، فأجازيه بمثلها دون تضعيفها، كما في الحسنات، وإن شئت سترتها عنه، ولا أجازيه عليها أصلاً، وهذا من كمال فضله، وهو محمول على ما سوى الشرك، فإن سيئته لا يُغفر، كما بيّنه الله تعالى بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

٤-قوله (**وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا** ...) .

فيه أن إقبالَ اللهِ على العَبدِ إذا أقْبَلَ العَبدُ عليه سُبحانَه وتَعالَى يكونُ أكثَرَ مِن إقبالِ العَبدِ عليه .

٥-قوله (**وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض خَطِيئةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً**) .

المقصودُ مِن الحديثِ: دَفْعُ اليأسِ لمن كَثُرَت ذُنوبُه؛ كيْ يَتوبَ ويَعودَ إلى اللهِ، فلا يَنْبغي للعبدِ أنْ يَغتَرَّ ويَستكثِرَ مِن الخَطايا، فإنَّه يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ، ويُعذِّبُ مَن يَشاءُ، ولا يَعلَمُ مِن أيِّهم يكونُ، فعليْه أنْ يُؤدِّبَ نفْسَه بالخوفِ تارةً، وبالرَّجاءِ تارةً أُخرى؛ كي يكونَ مِن الفائزينَ.

٦- التَّرغيبُ والحثُّ على المجاهَدةِ في الطَّاعةِ والعِبادةِ.

٧- فَضيلةُ التَّوحيدِ وأنَّه سَببُ نَجاةِ العبدِ.

٣٤٨ - وعن جابر ﷺ قَالَ: جاء أعرابي إِلَى النَّبيّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجِبَتَانِ ؟ قَالَ (مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار) .

==========

(**مَا الموجِبَتَانِ ؟**) معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار .

١-قوله (**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**) .

الحديث دليل على سعة رحمة الله ، وأن من مات على التوحيد دخل الجنة حالاً أو مآلاً ، فلا يخلد في النار موحد .

وهذا من أعظم فضائل التوحيد .

عن أبي ذرﷺ قال: قال النبي ﷺ (آتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) متفق عليه.

٢-الحديث دليل على خطر الشرك ، وأن الشرك بالله هو أعظم ذنبٍ عصي به الله .

مباحث في الشرك :

فائدة : ١

تعريف الشرك :

الشرك الأكبر هو أن يتخذ شريكاً أو نداً لله في ربوبيته أو ألوهيته أو في أسمائه وصفاته، والشرك الأكبر يكون في الاعتقادات كأن يعتقد أن غير الله مستحق للعبادة، ويكون في الأعمال كالذبح لغير الله ويكون في الأقوال كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. (تسوية غير الله فيما هو من خصائص الله) .

قال الذهبي رحمه الله: وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك وتعبد معه غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو غير ذلك.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: الشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريفٍ جامع كما في حديث ابن مسعود أنه قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، والند المثل والشبيه فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيه .

وقال السعدي : إن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قولٍ أو عملٍ ثبت أنه مأمور به فيصرفه لغير الله ﷻ فهذا هو الشرك.

فائدة : ٢

الشرك أعظم الذنوب، وهو أظلم الظلم وذلك لأمور:

أولاً: لأن مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره.

ثانياً: لأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى في خصائص الألوهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع.

ثالثاً: هضم للربوبية، وتنقص للذات الإلهية.

رابعاً: سوء ظنٍ برب العالمين، فهو إذاً تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه، وأي ذنبٍ أعظم من أن يُجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

فائدة : ٣

خطر الشرك .

أولاً : أن المشرك حرام عليه الجنة مخلد في النار .

وقال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) .

وقال تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ).

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) رواه البخاري.

وحديث الباب . قال ﷺ (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

قال النووي رحمه الله أما دخول المشرك النار فهو على عمومه يدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله: وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الأبدين من غير انقطاع عذابٍ ولا تصرم أعمال، فالمشرك إن مات على الشرك فهو في النار .

تنبيه :

ادخال الشرك العبد النار نوعان :

أ-إدخال تأبيد يعني يكون في النار مؤبد فيدخلها إلى الأبد ولا يخرج منها بل يبقى فيها خالداً مخلداً .

وهذا حظ أهل الشرك الأكبر يعني من مات على الشرك الأكبر.

ب-إدخال إلى أمد : يعني أمد فيدخلها إلى أمد ثم يخرج منها .

وهذا حظ من لم يكن من أهل الشرك الأكبر .

ثانياً : أن الله ﷻ لا يغفر للمشرك إن مات من غير توبة .

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

قال الشوكاني رحمه الله : لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته أما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انتهى من كتابه فتح القدير.

ويقول أيضاً: التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين.

ثالثاً: الشرك أعظم ما نهى

قال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .

وقال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) .

وقال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) .

قال السعدي : أي افترى جرماً كبيرا، وأي ظلمٍ أعظم ممن سوى المخلوق من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجهٍ الذي لا يملك لنفسه فضلاً عمن عبده نفعاً ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء ؟

وعن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) متفق عليه.

رابعاً : الشرك أعظم الظلم .

قال تعالى (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

وقال تعالى (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ) أي: من المشركين.

قال ابن رجب: فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق، فعبده وتألهه، فوضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال الله تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

و**قال السعدي** : ووجه كونه ظلماً عظيماً لأنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو ، فهل أعظم من هذا الظلم شيء انتهى كلام السعدي رحمه الله رحمة واسعة.

خامساً : الشرك محبط للعمل .

قال تعالى (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

سادساً : الشرك هو أكبر الكبائر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ). قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ (ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ). قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ (ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) متفق عليه.

وعن أبي بكرة قَالَ (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ – ثَلاَثاً – الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ) متفق عليه.

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَبَائِرِ قَالَ (الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَقَوْلُ الزُّورِ) رواه البخاري.

فائدة : ٤

هذه الآيات وهذه الأحاديث التي تبين خطر الشرك وعاقبة المشرك تدل على أنه ينبغي للمسلم أن يخاف من الشرك، وأن يخاف من الوقوع فيه .

ولهذا قال حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .

فيجب على الإنسان أن يخاف من الوقوع في الشرك وأن يحذر كل الحذر خاصة في هذه الأزمنة في فتح القنوات والانترنت وأصبحت تبث الشهوات والشرك وغير ذلك مما هو معلوم ولا يخفى على أحد.

فائدة : ٥

ومن أعظم الأدلة على وجوب الخوف من الشرك :

قوله تعالى عن الخليل عليه الصلاة والسلام (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وذلك من جهتين :

أ–من جهة المتكلم بها ، وهو إبراهيم إمام الحنفاء .

ب–من جهة المدعو به ، فإبراهيم دعا ربه بمجانبة الشرك ، والمجانبة فيها مزيد مباعدة للمنهي عنه .

ولهذا قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم .

ومما يدل على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك :

ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فسئل عنه فقال الرياء) .

ووجه الشاهد من هذا الحديث على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك؟ نقول من وجهين:

أ– أن الرسول ﷺ تخوف من وقوعه تخوفاً شديداً.

ب– أنه ﷺ تخوف من وقوعه في الصالحين الكاملين فمن دونهم من باب أولى .

تنبيه : قوله (الرياء) هذا من باب المثال لا من باب الحصر، إذ الشرك الأصغر أنواعه متعددة كالحلف بغير الله، وإنما اقتصر على الرياء لكثرة وقوعه ومشقة دفعه.

فائدة : ٦

الشرك ينقسم عند العلماء إلى قسمين : شرك أكبر ، وشرك وأصغر .

الأكبر تقدم تعريفه :أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

والأصغر : عرفه العلماء بعدة تعريفات كلها متقاربة (مضمونها : هو أن الشرك الأصغر لا يصل إلى حد الشرك الأكبر) .

قيل : هو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الأكبر .

وقيل : هو جعل شيء من حقوق الله لغيره لا يخرج به العبد من الملة .

وقيل : هو كل وسيلة تكون ذريعة إلى الشرك الأكبر قاله السعدي .

وقيل : ما ثبت شرعاً إطلاق اسم الشرك أو الكفر عليه وعُلم من أدلة أخرى عدم خروج صاحبه من الدين.

فائدة : ٧

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر .

الشرك الأكبر يخرج من الملة ، والأصغر لا يخرج من الملة .

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار ، والأصغر لا يخلد صاحبه فيها إذا دخلها .

الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

فائدة : ٨

الشرك الأصغر محرم بل هو أكبر الكبائر ويأتي في مرتبة تلي مرتبة الشرك الأكبر .

واتفق علماء أهل السنة على أن مرتكب الشرك الأصغر غير خارج من الملة وأنه لا يخلد في النار .

فائدة : ٩

الدليل على تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر :

ما جاء عن شداد بن أوس قال (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ من الشرك الأصغر) رواه البزار وسنده حسن .

وللحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء) .

فائدة : ١٠

قولنا الشرك الأصغر : قد يفهم بعض الناس إنه إنما سمي بذلك لقلة أهميته وليس كذلك ولكن لما كان بمقابل الأكبر سمي أصغر وإلا فهو أعظم من الكبائر .

وقد وضع العلماء ضوابط وقواعد يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر عند وروده في النصوص الشرعية :

ضابط :١ أن ينص النبي ﷺ صراحة أن هذا من الشرك الأصغر .

كقوله ﷺ في الحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء) .

ضابط : ٢ أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكراً أي غير مقترن بالألف واللام فهذا في الغالب يقصد به الشرك الأصغر .

وهذا له أمثلة كثيرة كقول النبي ﷺ (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) ، فالمقصود بالشرك هنا الأصغر دون الأكبر.

ضابط : ٣ أن يفهم الصحابة من النصوص الشرعة أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر .

ومن أمثلة ذلك : ما رواه أبو داود عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال (الطيرة شرك ثلاثاً وما منا ولكن الله يذهب بالتوكل) ، فجملة وما منا إلا، هذه من كلام ابن مسعود كما بين ذلك أهل الحديث فهذا يدل على أن ابن مسعود ﷺ فهم أن هذا من الشرك الأصغر لأنه لا يمكن أن يقصد وما منا إلا ويقع في الشرك الأكبر، كما أن الشرك الأكبر لا يذهبه الله بالتوكل بل لابد من التوبة .

٣-فضل التوحيد وأن من مات على التوحيد لا يخلد في النار .

٤-على المسلم أن يجتهد في تحقيق التوحيد .

٥-دعوة الرسل كلها دعوة للتوحيد وترك الشرك .

٣٤٩-عن أَبي موسى الأشعري ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (إِذَا أَرادَ اللهُ تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها، فَجعلهُ لَهَا فَرطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإِذَا أَرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأَقرّ عَينَهُ بهلاَكِها حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أَمْرَهُ) .

==========

(**إِذَا أَرادَ اللهُ تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها**) أي: أماته قبل أمته .

(**فَجعلهُ**) أي : ذلك النبي ﷺ .

(**لَهَا**) لأمته .

(**فَرطًا**) المتقدم على أمته .

(**وَسَلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإِذَا أَرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ**) أي : هلاكها .

(**عَذَّبَهَا**) بعذاب الدنيا .

(**وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأَقرّ عَينَهُ**) أي : سره .

١-**قال القرطبيّ** -رَحِمَهُ اللهُ-: إنما كان موت النبيّ ﷺ قبل أمته رحمة لأمته؛ لأنَّ الموجب لبقائهم بعده إيمانهم به، واتباعهم لشريعته، ثم إنهم يصابون بموته، فَتعظُم أجورهم بذلك، إذ لا مصيبة أعظم من فَقد الأنبياء، فلا أجر أعظم من أجر من أصيب بذلك، ثم يحصل لهم أجر التمسك بشريعته بعده، فتتضاعف الأجور، فتعظم الرحمة، ولهذا قال ﷺ: "حياتي لكم رحمة، ومماتي لكم رحمة" ، وأما إذا أهلكها قبله فذلك لا يكون إلا لأنهم لم يؤمنوا به، وخالفوه، وعصوا أمره، فإذا استمروا على ذلك من عصيانهم، وتمرُّدهم أبغضهم نبيّهم، فربما دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكهم، فأقرَّ عينه فيهم، كما فعل بقوم نوح وغيره من الأنبياء.

٢-رحمة الله بهذه الأمة المحمدية زادها الله شرفًا؛ فإنها أمة مرحومة، حيث قبض نبيها قبلها.

٣-اهتمام الأنبياء بأقوامهم وحرصهم على رعايتهم وإصلاح شؤونهم.

٤-تعذيب الكفار وإهلاكهم فيه إقرار عين الأنبياء وأتباعهم.

٥-فيه تطييب لقلب الرسول ﷺ الذي دعا قومه إلى الخير، فقابلوه بالكفر.

٦-نصرة الله تعالى للمظلوم ولو بعد حين، (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) الآية.

٣٥٠ – عن أبي هريرة ، قَالَ (كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ إِذْ سمع وجبة ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعينَ خَريفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِها فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا) .

==========

(**كُنَّا مَعَ رَسُول الله إِذْ سمع وجبة**) قال القُرطُبِيُّ: الوَجْبةُ: الهَدَّةُ، وهي صَوتُ وَقْعِ الشَّيءِ الثَّقيلِ .

(**قَالَ : هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ**) أي: نار جهنّم .

(**مُنْذُ سَبْعينَ خَريفًا**) أي: من ابتداء سبعين سنة .

١-الحديث دليل على وجوب الخوف من النار ، فإن قعرها بعيد وحرها شديد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) رواه مسلم

وعَنه ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال (إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ لا يَرى بها بَأسًا يَهوي بها في النَّارِ سَبعينَ خَريفًا) رواه الترمذي

وعَن خالِدِ بنِ عُمَيرٍ العَدويِّ قال: خَطَبَنا عُتْبةُ بنُ غَزوانَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثُمَّ قال: (أمَّا بَعدُ، فإنَّ الدُّنيا قَد آذَنَتْ بصَرمٍ ووَلَّتْ حَذَّاءَ، ولَم يَبقَ مِنها إلَّا صُبابةٌ كَصُبابةِ الإناءِ، يَتَصابُّها صاحِبُها، وإنَّكم مُنتَقِلُونَ مِنها إلى دارٍ لا زَوالَ لَها، فانتَقِلُوا بخيرِ ما بحَضرَتِكم، فإنَّه قَد ذُكِرَ لَنا أنَّ الحَجَرَ يُلقى مِن شَفَةِ جَهَنَّم، فيَهوي فيها سَبعينَ عامًا، لا يُدرِكُ لَها قَعرًا، ووااللهِ لَتُملأنَّ، أفعَجِبتُم؟) رواه مسلم .

٢-الحث على الاستعداد لليوم الآخر بالعمل الصالح، والتحذير من جهنم.

٣٥١ – عن ابن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا) .

==========

(**يُؤتَى بِجَهَنَّمَ**) قال النوويّ: جهنم اسم لنار الآخرة، وسُمّيت بذلك؛ لِبُعد قعرها، قال روبة: يقال: بئر جِهِنّام؛ أي: بعيدة القعر، وقيل: مشتقة من الجهومة، وهي الغِلَظ، يقال: جهنم الوجه؛ أي: غليظة، فسمّيت جهنم؛ لِغِلَظ أمرها.

(**يَومَئذٍ**) يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة .

(**لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ**) بكسر الزاي، وهو ما يُشدّ به .

قال القرطبي والزمام ما يُزمّ به الشيء؛ أي: يُشدّ، ويُربط .

(**مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**) أي : يسحبونها .

١-الحديثِ دليل على عِظَمُ خَلْقِ النَّارِ، أعاذَنا اللهُ تعالَى منها.

٢-الحديث دليل على الترهيب مِن جهنَّمَ ببَيانِ هَولِ صِفتِها حتَّى يَرتدِعَ كلُّ مَن كان له قَلبٌ.

٣-قال القرطبيّ رحمه الله: قوله: "يؤتى بجهنم إلخ" قد تقدَّم: أن جهنم اسم عَلَم لنار الآخرة، وكذلك: سقر، ولها أسماء كثيرة- أعاذنا الله منها-؛ يعني: أنها يجاء بها من المحل الذي خلقها الله فيه، فتُدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والزمام: ما يُزمّ به الشيء؛ أي: يُشدّ، وُيربط، وهذه الأزمّة التي تساق جهنّم بها أيضًا تمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أُمرت بأخذ من شاء الله أخذه، وملائكتها- كما وصفهم الله تعالى (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وأما هذا العدد المحصور للملائكة فكأنه عدد برؤسائهم، وأما جملتهم، فالعبارة عنها ما قال الله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) .

٤-بيان عدد الملائكة الذين يجرون جهنم.

٥-تخويف الله لعباده ليتقوه ويعبدوه.

٣٥٢-عن المقداد ﷺ قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ». قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر الراوي عن المقداد: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعني بِالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أَم المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: «فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم مَن يكُون إِلَى رُكبتَيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ) .

==========

١-هذا الحديث يدل على عِظَمِ يَومِ القيامةِ، وأنَّ على المؤمنِ أن يَخافَ من هذا اليَومِ العَظيمِ ... وإذا كانتِ الشَّمسُ في أَوْجِها في الدُّنيا وبُعْدِها عنا بهذه الحَرارةِ، فكَيفَ إذا كانت بهذا القُربِ؟! ولَكِنَّ هذه الشَّمسَ يَنجو منها من شاءَ اللهُ، فإنَّ اللهَ تعالى يُظِلُّ أقوامًا بظِلِّه يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه .

وقوله (**حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**) الراجح أنه ميل المسافة ، لأنه هو المعروف في لغة الشرع ، في الأحاديث وآثار الصحابة

٢-من أهوال يوم القيامة العرق يسيل من الناس .

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ (يَعْرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) .

ومعنى «يَذْهَبُ في الأَرضِ»: ينزل ويغوص.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وَ «الرَّشْحُ»: العَرَقُ.

٣-**قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبِيُّ**: قَولُه: (تُدنَى الشَّمسُ يَومَ القيامةِ) أي: تُقَرَّبُ. والميلُ: اسمٌ مُشتَرَكٌ بينَ مَسافةِ الأرضِ، والمِرْودُ الذي تُكحَّلُ به العَينُ. ولِذلك أشكلَ المرادُ على سليمِ بنِ عامِرٍ، والأَولى به هنا: مَسافةُ الأرضِ؛ لأنَّها إذا كان بينَها وبينَ الرُّؤوسِ مِقدارُ المِروَدِ فهيَ مُتَّصِلةٌ بالرُّؤوسِ لقِلَّةِ مِقدارِ المِروَدِ. وقَولُه (فيَكونُ النَّاسُ في العَرَقِ على قَدرِ أعمالِهم؛ فمنهم مَن يَكونُ إلى كعبَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى رُكبَتَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى حقْوَيه، ومنهم مَن يُلجِمُه العَرَقُ إلجامًا) . وهذا العَرَقُ إنَّما هو لشِدَّةِ الضَّغطِ، وحَرِّ الشَّمسِ التي على الرُّؤوسِ بحَيثُ تَغلي منها الهامُ، وحَرارةِ الأنفاسِ، وحَرارةِ النَّارِ المحْدِقةِ بأرضِ المحْشَرِ، ولِأنَّها تَخرُجُ منها أعناقٌ تَلتَقِطُ النَّاسَ مِنَ الموقِفِ، فتَرشَحُ رُطوبةُ الأبَدانِ من كُلِّ إنسانٍ بحَسَبِ عَمَلِه، ثُمَّ يُجمَعُ عليه ما يَرشَحُ منه بَعدَ أن يَغُوصَ عَرقُهم في الأرضِ مِقدارَ سَبعينَ باعًا، أو ذِراعًا، أو عامًا، على اختِلافِ الرِّواياتِ ... والحاصِلُ أنَّ هذا المقامَ مَقامٌ هائِلٌ لا تَفي بهولِه العِباراتُ، ولا تُحيطُ به الأوهامُ، ولا الإشاراتُ، وأبلَغُ ما نَطَقَ به في ذلك النَّاطِقونَ: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ .

٤-هناك في موقف الحساب، ومع دُنوِّ الشمسِ من رُؤوس الخلائق، واشتداد الحرّ، هُناكَ مَن يُظلُّهم الله، جعلني الله وإياكم ووالدينا وأهلينا منهم .

قال ﷺ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه) متفق عليه .

وفي روايةٍ (يُظلُّهم الله في ظلِّ عرشه) رواه سعيد ابن منصور وحسنه ابن حجر.

قال ابن عبد البر: هذا أحسنُ حديثٍ يُروَى في فَضائل الأعمال وأعمُّها وأصحُّها إن شاء الله، وحَسْبُك به فضلًا؛ لأن العلمَ مُحيطٌ بأن من كان في ظلِّ الله يومَ القيامةِ لم يَنَلْ هَوْلَ الموقف .

من أسباب الظلِّ يوم القيامة: إنظار المعسر:

قال ﷺ (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ) رواه مسلم .

من أسباب الظلِّ يوم القيامة: تَعَلُّم سورة البقرة وآل عمران:

قال ﷺ (تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ) رواه أحمد .

ومن أسباب الظلِّ يوم القيامة: المحبة بجلال الله:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» (رواه مسلم).

ومن أسباب الظلِّ يوم القيامة: الصدقة .

قال ﷺ (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) رواه أحمد .

٥- قال القسطلاني : ظاهرَ قَولِه (النَّاس) التَّعميمُ، لَكِن في حَديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ أنَّه قال: يَشتَدُّ كربُ النَّاسِ ذلك اليَومَ حَتَّى يُلجِمَ الكافِرَ العَرَقُ، قيلَ له: فأينَ المؤمِنونَ؟ قال: على كراسِيَّ من ذَهَبٍ، وتُظَلِّلُ عليهمُ الغَمَامُ .

٦-قدرة الله -عز وجل- وعظمته إذ الناس جميعا محشورون إليه.

٧-أعمال العباد تؤثر على منازلهم في المحشر.

٨-ناس يكونون في الشدة يوم القيامة في الموقف على حسب أعمالهم.

٩-الترغيب بأعمال الخير، والترهيب من أعمال الشر.

١٠-بيان أهوال يوم القيامة والتحذير منها .

٣٥٣ - وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ) .

==========

١-قوله (**وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ**) وجاء عند البخاري (لو يَعلَمُ الكافِرُ بكُلِّ الذي عِندَ اللهِ مِنَ الرَّحمةِ لم ييأَسْ مِنَ الجَنَّةِ) قوله (لم ييأَسْ مِنَ الجَنَّة) **قيل:** المرادُ أنَّ الكافِرَ لو عَلِمَ سَعةَ الرَّحمةِ لغَطَّى على ما يَعلمُه مِن عِظَمِ العَذابِ، فيحصُلُ له الرَّجاءُ، **وقيل:** المرادُ أنَّ مُتَعَلَّقَ عِلمِه بسَعةِ الرَّحمةِ مَعَ عَدَمِ التِفاتِه إلى مُقابِلِها يُطمِعُه في الرَّحمةِ.

٢-الحديث دليل على أنه ينبغي للمسلم أن يكون بين الخوف والرجاء كما تقدم .

قال المُباركفوريُّ: إنَّ المؤمِنَ قدِ اختصَّ بأن يطمَعَ في الجَنَّةِ، فإذا انتَفى الطَّمَعُ منه فقد انتَفى عنِ الكُلِّ، وكذلك الكافِرُ مُختَصٌّ بالقُنوطِ، فإذا انتَفى القُنوطُ عنه فقدِ انتَفى عنِ الكُلِّ. وورَدَ الحَديثُ في بَيانِ كثرةِ رَحمَتِه وعُقوبَتِه؛ كيلا يغتَرَّ مُؤمِنٌ برَحمَتِه فيأمَنَ مِن عَذابِه، ولا ييأسَ كافِرٌ مِن رَحمتِه ويترُكَ بابَه .

٣-شدة عقوبة الله .

٤-عظم رحمة الله تعالى .

٥-تحريم اليأس من رحمة الله .

٦-تحريم الأمن من مكر الله .

٣٥٤ – وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِم يَهُودِيًا أَوْ نَصْرانِيًا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ) .

وفي رواية عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَال الجِبَالِ يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ) .

==========

١-معنى الحديث :

قال النووي رحمه الله : (الْفَكَاك): الْخَلَاص وَالْفِدَاء . وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيث مَا جَاءَ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة : لِكُلِّ أَحَد مَنْزِل فِي الْجَنَّة وَمَنْزِل فِي النَّار ؛ فَالْمُؤْمِن إِذَا دَخَلَ الْجَنَّة : خَلَفَه الْكَافِر فِي النَّار لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ ، مَعْنَى (فَكَاكك مِنْ النَّار) أَنَّك كُنْت مُعَرَّضًا لِدُخُولِ النَّار ، وَهَذَا فَكَاكك ; لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلَؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّار بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبهمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَاك لِلْمُسْلِمِينَ . (شرح مسلم للنووي) .

وقَالَ الْقَاضِي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا كَانَ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ مَقْعَدٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدٌ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ آمَنَ حَقَّ الْإِيمَانِ بُدِّلَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ بِمَقْعَدٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَبِالْعَكْسِ، كَانَتِ الْكَفَرَةُ كَالْخَلَفِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي مَقَاعِدِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَالنَّائِبِ مَنَابَهُمْ فِيهَا، وَأَيْضًا لَمَّا سَبَقَ الْقَسَمُ الْإِلَهِيُّ بِمَلْءِ جَهَنَّمَ، كَانَ مَلْؤُهَا مِنَ الْكُفَّارِ خَلَاصًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَجَاةً لَهُمْ مِنَ النَّارِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْفِدَاءِ وَالْفِكَاكِ، وَلَعَلَّ تَخْصِيصَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالذِّكْرِ: لِاشْتِهَارِهِمَا بِمُضَادَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُقَابَلَتِهِمَا إِيَّاهُمْ فِي تَصْدِيقِ الرَّسُولِ الْمُقْتَضِي لِنَجَاتِهِمْ.

(مرقاة المفاتيح)

٢-أن الكفار مأواهم النار .

٣-سعة رحمة الله تعالى .

٤-لايخلد الموحد في النار .

٥-كل من لم يؤمن بالرسول ﷺ محمد فهو كافر .

٣٥٥ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعونَ رَجُلًا لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيه) .

٣٥٦–وعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ (مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ) .

==========

(مَا مِنْ رَجُلٍ) خرج مخرج الغالب وإلا فالمرأة مثله.

(لَا يُشْرِكُونَ بِاَللَّهِ شَيْئًا) شيئاً: نكرة في سياق النفي، فيشمل الشرك الأكبر والأصغر.

(إِلَّا شَفَّعَهُمْ اَللَّهُ فِيهِ) أي: قبل شفاعتهم.

(يُصَلِّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ) أي : جماعة .

(**كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ**) أي: يسألون له من الله تعالى التجاوز عن ذنوبه، وجرائمه .

(**إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**) بتشديد الفاء، مبنيًّا للمفعول؛ أي: إلا قُبلت شفاعتهم في ذلك الميت .

١-هذه الأحاديث دليل على استحباب تكثير المصلين على الميت ، فكلما كثر الجمع كان أفضل وأنفع.

٢-فإن قيل : ما الجمع بين حديث ابن عباس (فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا) وحديث عائشة (يبلغون مائة)؟

قال القرطبي : قيل: سبب هذا الاختلاف: اختلاف السؤال، وذلك أنه سئل مرَّة أخرى عمَّن صلّى عليه مائةٌ واستشفعوا له، فقال (شفعوا) وسئل مرَّة أخرى عمَّن صلّى عليه أربعون، فأجاب بذلك. ولو سئل عن أقلَّ من ذلك، لقال ذلك، والله أعلم؛ إذ قد يستجاب دعاء الواحد، ويقبل استشفاعه. وقد روي عنه ﷺ أنه قال (مَن صلّى عليه ثلاثة صفوف شُفِّعوا فيه) ولعلهم يكونون أقلَّ من أربعين.

وقال النووي: ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر بقبول شفاعة مائة، فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين ثم ثلاث صفوف وإن قل عددهم فأخبر به، ويحتمل أيضاً أن يقال هذا مفهوم عدد ولا يحتج به جماهير الأصوليين، فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف، وحينئذ كل الأحاديث معمول بها ويحصل الشفاعة بأقل الأمرين من ثلاثة صفوف وأربعين.

٣-يشرط في هذه الشفاعة للميت عدم الشرك بالله، سواء الشرك الأكبر أو الأصغر.

فالمشرك الأكبر لا تصح صلاته.

والمشرك الأصغر لا تقبل شفاعته.

٤-فضل التوحيد بالله.

٥-التحذير من الشرك.

٦-أنه لو صلى على الميت أمة أكثر من الأربعين لكنهم فيهم شرك لم يحصل هذا الفضل الوارد في الحديث.

٧-لا ينفع كثرة المصلين ما لم يكونوا متقين.

٨-أن قلة المصلين مع التقوى والخشية وعدم الشرك أفضل.

٩-إثبات الشفاعة للمؤمنين.

١٠-بيان رفعة قدر المسلمين عند الله تعالى، حيث تُقبل شفاعتهم.

٣ - مشروعيّة الصلاة على الميت.